نسبه وكنيته ويُكَنَّى أبا أمامة، فنبغ فيه بغتة، وقيل: هو مشتق من نبغت الحمامة إذا تغنت. وحكى ابن ولاد أنه يقال: نبغ الماء، طبقته في الشعراء وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتًا. كأن شعره كلام ليس فيه تكلُّف. وأهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى، وأهل الحجاز على النابغة وزهير، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل، وتقدم ما فيه بعض مخالفة لما هنا بحسب اختلاف الآراء. أول نبوغه في الشعر روي عن الأصمعي أنه قال: أول ما تكلم به النابغة من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل، وكان عمه يشاهد به الناس ويخاف أن يكون عيبًا، تطيب كئوسنا لولا قذاها وتحتمل الجليس على أذاها فقال النابغة وحمي لذلك: قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكَمِ اشتراها وهذا يعارضه ما قيل إنما لقب النابغة لأنه كبر ولم يقل شعرًا. أتيتك عاريًا خلقًا ثيابي على خوف تظن بي الظنون قالوا: النابغة. وروي من وجه آخر أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال لجلسائه يومًا: من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين، إلَّا سليمان إذا قال الإله له قم في البَرِيَّةِ فاحددها عن الفند وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول: «أتيتك عاريًا خلقًا ثيابي ...» إلخ؟ قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول: حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب. ذهب ابن حجر بالقريض وقوله ولقد أجاد فما يعاب زياد لله هاذر إذ يجود بقوله إن ابن ماهر بعدها لجواد وهو أشعر الجن وأضنهم بشعره، ثم صرخ بها: اخرجي فدى لك من ولدت حواء. فقلت له: ما أنصفت أيها الشيخ. فقال: ما قلت بأسًا. ثم رجعت إلى نفسي، فعرفت ما أراد، نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها حزين حتى أتت على قوله منها: فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون فقال: لو كان رأي قوم نوح فيه كرأي هاذر ما أصابهم الغرق. وكانوا يقولون: إن النابغة أشعر العرب إذا خاف؛ وهذا غير صحيح؛ وما كان النابغة يأكل ويشرب إلا في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك. وروي أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى الحجاج أن ابعث إليَّ عامرًا الشعبي، وكان الشعبي من أمثل أهل وقته، قال الشعبي: فأظلم ما بيني وبين عبد الملك من البيت، قلت: بل أشعر منك يا أخطل الذي يقول: هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام للحارث الأكبر والحارث الأعـرج والأصغر خير الأنام فستة آباؤهم ما هم أكرم من يشرب صوب الغمام فقال الأخطل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبي. صدق واللهِ، النابغة أشعر مني. فأنشد الناس قصيدته الذي سيأتي سببها وهي: من آل مية رائح أو مغتدِ عجلان ذا زاد وغير مزود وكان أَقْوَى فيها فما تجاسر أحد أن يقول له، فأتوه بقينة فغنت منها: سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتَّقَتْنا باليد بمخضَّب رَخْصٍ كأن بَنانه عنم يكاد من اللطافة يُعقد فصارت الكسرة ياء ومدت يعقد، ولم يَعُدْ إلى الإقواء وغيَّر قوله: «يكاد من اللطافة يعقد» وجعله «عنم على أغصانه لم يعقد»، وكانت تضرب للنابغة قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، ففي إحدى السنين فعل به ذلك، فأول من أنشده الأعشى، ثم حسان بن ثابت، ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد قصيدتها التي تقول فيها ترثي صخرًا: وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار وفي رواية فقال حسان: أنا واللهِ أشعر منك ومنها ومن أبيك. لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دمًا ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرق فأكرم بنا خالًا وأكرم بنا ابنَمَا ولم تفخر بمن ولدك — يعني أن الجفنات لأدنى العدد والكثير جفان، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف في الليل أكثر. وقلت: يقطرن من نجدة دمًا فدللت على قلة القتل، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم. ولن تستطيع أن تقول: فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنأى عنك واسع خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع قال: فسألني عن وجهي وما أقدمني، وكيف يعامله، ويقول إنه لا يزال هكذا حتى يأتيه أبو أمامة — يعني النابغة — فإذا قدم فلا حَظَّ فيه لأحد من الشعراء. قال حسان: فأقمت كذلك إلى أن دخلت عليه ليلة، فأُتِي بطبيخ فأكل منه بعض جلسائه إلى أن قال حسان: فواللهِ إني لجالس عنده إذا بصوت خلف قبته، ولم يكن للعرب نعم سود إلا للنعمان، أنام أم يسمع رب القبَّهْ يا أوهب الناس لعنس صلبَهْ قال أبو إمامة: أدخلوه، فأنشده قصيدته التي يقول فيها: ولست بمستبقٍ أخًا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلابها من السود، قال حسان: فخرجت من عنده لا أدري أكنت له أحسد على شعره، فرجعت إلى صاحبي، وكان النابغة من أخصاء النعمان، فسقط نصيفها فاسترت بيدها وذراعها، فكادت ذراعها تستر وجهها لغلظها وكثرة لحمها، فقال قصيدته التي يقول فيها: سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد فوصف منها مواضع لا يليق ذكرها، وأما النابغة فكان عفيفًا نقيًّا،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي